

قياسات
من سيرة الرسول
الأعظم
مع أهل الكتاب

محمد عيدان العبادي

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت الذي
اختزنه مدرستهم وحفظه من الضياع
أتباعهم يعبر عن مدرسة جامعة
لشتى فروع المعرفة الإسلامية.

وقد استطاعت هذه المدرسة أن
تربّي النفوس المستعدة للاغتراف من
هذا المعين، وتقدّم للأمة الإسلامية
كبار العلماء المحتذين لخطى
أهل البيت الرسالية، مستوعبين
إثارات وأسئلة شتى المذاهب
والاتجاهات الفكرية من داخل
الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين
لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى

القرون المتتالية .

وقد بادر المجمع العالمي لأهل البيت - منطلقاً من مسؤولياته التي أخذها على عاتقه - للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التي ضيّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل البيت وأتباع مدرستهم الرشيدة التي حرصت في الردّ على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام في خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب في كل عصر.

إنّ التجارب التي تختزنها كتب علماء مدرسة أهل البيت في هذا المضمار فريدة في نوعها ؛ لأنها ذات رصيد علمي يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب

المذموم، ويخاطب العلماء
والمفكرين من ذوي الاختصاص خطاباً
يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة
السليمة.

وقد تشرف المجمع العالمي لأهل
البيت^e في هذا العام
- ١٣٨٥ هجري شمسي - الذي أطلق
عليه قائد الثورة الإسلامية آية
الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظلّه
الوارف) «عام النبيّ الأعظم (ص)»
أن يساهم في التعريف بسيرة
الرسول
الأكرم (ص) وأهل بيته^e.

والكتاب الذي بين يدي القارئ
الكريم «قبسات من سيرة النبي
الأعظم (ص) مع أهل الكتاب» ليس إلا
محاولة متواضعة لتبيين صفحة
مضيئة من ذلك النور المتلألئ في

تعامله ومواقفه (ص) من أهل
الكتاب.

ونتقدم بخالص شكرنا وتمنياتنا
بالتوفيق لسماحة الشيخ محمد
عيدان العبادي لاستجابته الى طلب
قسم التأليف والتحقيق في
المعاونة الثقافية للمجمع
العالمي لأهل البيت، ولكل الإخوة
الذين ساهموا في إخرجه.

المجمع العالمي لأهل البيت

المعاونة الثقافية

مقدمة المؤلف

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين. إنَّ تاريخ الأنبياء تحدث عن سعة الأخلاق الكريمة التي بسطوها بين الناس، حيث جاءوا لتوثيق عرى الأُُُُُُخوة بين بني البشر، فلم يعرف عنهم أنهم أرسلوا من أجل العداء بين الناس كما لم يعهد منهم أنهم ضاقت بهم أنفسهم فنأوا عن تبليغ الرسالات التي بعثوا بها.

وعلى العكس من ذلك كان أعداؤهم يببّيتون لهم السوء، ويحرضون عليهم، ويقاتلونهم أو يخرجونهم عن ديارهم عدواً عن علم أو غير علم.

إنَّ الباعث الذي دعا إلى كتابة هذا الموضوع هو تناول غير المسلمين لشخص الرسول الأعظم (ص) ونعته بصفات لا تليق بساحته المقدسة، ومن خلال القراءة المنصفة لسيرة النبويّة يجد المتتبع أنّ النبي الأكرم (ص) الذي جاء بمكارم الأخلاق ونادى بها، في الوقت الذي كان عصره يعج بالتدني الأخلاقي، ففرش للناس - على اختلافهم - عظيم أخلاقه، وقد كانت سيرته في أهل الكتاب ذات دلالات إنسانية وأخلاقية، و لأجل هذا نحن نهدف من خلال عرض الموضوع إلى إبراز الجوانب الإيجابية التي تقرّب بين المسلمين وأهل الكتاب وإبراز وجهها الإنساني والحضاري.

لقد كان الرسول الأكرم (ص)

يقدم خطابه وبلاغه للناس ببيان وبرهان، أما أولئك الذين ناصبوه العداة فكان خطابهم يحمل روح الاتهام والاستهزاء والتحريض ويبتعدون عن مقابلة الحجّة بالحجة والدليل بالدليل.

والمسلمون على مر العصور يحترمون الأنبياء جميعاً لأنهم ذرية بعضها من بعض، ويؤدون دورهم في تربية وتعليم الإنسان، ولهذا نجد أنّ القرآن الكريم يتعرّض لقصص الأنبياء ويعتبرهم أسوة لبني البشر، وبتبع ذلك كان الرسول (ص) قد بين لهم ما نزل إليه، فأسس ذلك الاحترام ورسخه في نفوس المسلمين.

وقد سلطنا الضوء على الموضوع بأسلوب وصفي مشفّعاً بالآيات

والروايات من مصادر الفريقين.
وتناول الموضوع عدة مباحث من قبيل أهل الكتاب وتواجههم في شبه الجزيرة العربية، وأهم طرق التبليغ التي اتبعتها الرسول في أهل الكتاب، والتعاليم التي أنزلت على الرسول فيهم سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو دينية، ثم تعرضنا لذكر بعض النماذج الأخلاقية التي للرسول في أهل الكتاب، وأخيراً تطرقنا لذكر حقوقهم في دولة الرسول. ثم الخاتمة حيث أوجزنا فيها خلاصة ما تعرضنا إليه في المقام.

و نسأل الله أن يتقبل هذا القليل
بقبول حسن، وهو ولي التوفيق

أهل الكتاب في شبه الجزيرة العربية

تمهيد:

شهدت الجزيرة العربية فراغاً كبيراً في العلاقات الإنسانية، أدت إلى تداعيات خطيرة تهدد مستقبل الإنسان، حيث غلب على الناس آنذاك الطبيعة العدوانية فأصبحوا يجتهدون لابتداع أساليب مختلفة في عملية الصراع والخارة على بعضهم بعضاً و لشدة تردّي الأوضاع في المجتمع وسم العصر الذي واكبوه بالعصر الجاهلي .

وجاء الإسلام ليقيم صرح علاقات حضارية تتجاوز محل الأطر بين الإنسان و نظيره الإنسان، و كان رائد البناء هو الرسول الأكرم (ص) الذي يتمتع بكل الصفات الإنسانية،

حيث دعى الناس إلى الإسلام بغض النظر عن هويتهم الدينية، وكان أهل الكتاب من بين الناس الذين دعاهم إلى الإسلام.

وقبل البدء في بيان هوية أهل الكتاب في شبه الجزيرة العربية نود أن نشير إلى أن معنى أهل الكتاب في اللغة والاصطلاح جاء مشتركاً من حيث المعنى وإن اختلفت الألفاظ في بيان المقصود منهم.

وقد استفاد علماء اللغة والتفسير من النصوص القرآنية والحديثية في تعريف أهل الكتاب، ويتفقون جميعاً على أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى^(١) وبعضهم ألحق بهم المجوس باعتبارهم ذكروا

(١) التمهيد: ج ١٢ ص ٥٠١ ؛ والدروس: ج ٢ ص ٣١ ؛ مجمع البحرين: ج ٤ ص ٦٠ .

في القرآن مع سائر أرباب النحل
السماوية^(٢).

وعليه سوف نتعرض لذكر أهل
الكتاب ونقتصر على الديانتين
السماويتين في شبه الجزيرة
العربية:

١ - اليهود

كان اليهود يقطنون في الشام
وبابل^(٣)، وهاجروا إلى أصقاع
متعددة نحو الغرب في مدينة
القدس، وباتجاه شبه الجزيرة
العربية حيث سكنوا في المدينة
ومكة وخيبر وفدك ووادي القرى.

وبعد أن ألقوا عصى التسيار
أقاموا قراهم بين الحصون المنيعة
والقلاع العالية لتأكيد خصوصيتهم

(٢) الدروس: ج ٢ ص ٣١ ؛ و الميزان في تفسير
القرآن: ج ٩ ص ٢٣٧.

(٣) سيره نبوي (منطق عملي) : ج ١ ص ١٧٣.

حيث كان لهم أعرافهم وطقوسهم الدينية وأفكارهم المباشرة لغيرهم، وبمرور الزمان أصبح لهم دور في الحياة الاجتماعية، والأعمال التجارية التي كانت قائمة آنذاك في شبه الجزيرة العربية.

وتعرضت كتب السيرة والتاريخ إلى ذكر القبائل اليهودية ومنها: بني قريظة، وبني النضير، وبني قينقاع، وينقل ابن قتيبة: أن اليهودية كانت في حمير وبني كنانة وبني الحارث بن كعب وكنده^(٤). وقد انتشرت اليهودية في أوساط بعض القبائل نتيجة احتكاكها ومعاشرتها لليهود، حيث نقل اليعقوبي ذلك بقوله: وتهود

(٤) المعارف: ص ٦٢١.

قوم من الأوس والخزرج لمجاورتهم
يهود خيبر وبني قريظة، وتهود قوم
من بني الحارث بن كعب وقوم من
غسان وقوم من جذام^(٥).

وقد عرف عن اليهود مزاولتهم
الأعمال الزراعية، كما أنهم
يقومون ببعض المهن كصناعة الأسلحة
الحديدية^(٦).

وعليه فاليهود يمثلون إحدى
الديانات التي لها حضور في
الجزيرة العربية.

٢ - النصارى

كان للنصرانية نفوذ كبير في
بلاد الشام وبلاد اليمن؛ ويظن أن
انتشارها في اليمن بدأ منذ القرن
الرابع الميلادي، ولا نصل إلى

(٥) تاريخ اليعقوبي: ج ١ ص ٢٥٧.

(٦) فجر الإسلام: ص ٢٤.

العصر الجاهلي حتى نرى النصرانية منتشرة في نجران وغيرها^(٧). وكانت دولة الروم تعمل على نشر الدين المسيحي في أنحاء الجزيرة العربية عن طريق دولة الغسانيين التي أسسوها في الشام^(٨). وتنصر في مكة قوم قبل الإسلام منهم عتبة بن أبي لهب، وعثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل^(٩) وتعهد بعض الأفراد أن ينشر المسيحية في أوساط المكيين، فقد إنطلق عثمان بن حويرث بن أسد حتى قدم ابن جفنة ملك الشام من قبل الروم وعرض عليه استعدادة لتحويل قريش إلى النصرانية بشرط أن يكون هو

(٧) انظر: موسوعة التاريخ الإسلامي: ج ١ ص ١٢٧.

(٨) انظر: فجر الإسلام: ص ٢٧.

(٩) موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ١ ص ١٢٩.

الحاكم عليهم وقوبل اقتراحه بالقبول وكتب له كتاباً، فيه حكماً بتعيينه حاكماً على قريش^(١٠) .

ويرى الآلوسي أن المسيحية انتشرت بين بعض القبائل العربية مثل ربيعة وغسان وبني تغلب لأن الروم كانوا في تماس دائم مع العرب من خلال المبادلات التجارية التي تجرى بين الطرفين^(١١) وعلى آية حال فإن الديانة المسيحية كان لها حضور في شبه الجزيرة العربية غير أنها أقل شأناً من الحضور الذي لليهود.

~ ~ ~

(١٠) انظر: المنمق في أخبار قريش: ص ١٥٤ .

(١١) بلوغ الإرب في معرفة العرب: ج ٢ ص ٢٤١ .

النبي (ص) يبئغ رسالته لأهل الكتاب

المسلمون يهاجرون إلى بلاد أهل الكتاب

ضاقوا على المسلمين مكة بشعابها
وفيا فيها فهاجروا إلى الحبشة،
فقد جاء المسلمون إلى الرسول
وقالوا: أين نذهب يا رسول الله قال
ها هنا وأشار إلى الحبشة فخرجوا
متسللين سراً وكانوا أحد عشر رجلاً
وأربع نسوة، وكان مخرجهم في رجب
في السنة الخامسة من البعثة (١٢) أن
تهديد المشركين المستمر للمسلمين
وامتهان كرامتهم واستضعافهم أدى
إلى هجرة المسلمين إلى الحبشة
لتكون الموطن الأول الذي يأوي
إليه المسلمون.

إن نظرة النبي الأكرم

(١٢) انظر: الطبقات الكبرى: ج ١ ص ٢٠٤.

الإيجابية نحو أهل الكتاب ومعرفته بملك الحبشة النصراني وما شاع عنه من العدل < لا يظلم عنده أحد > (١٣). من الأسباب الوجيهة التي دعت النبي الأكرم لاختيار الحبشة داراً للهجرة. وبعبارة أخرى أنّ النصراني ليس لديهم عداً لأهل الديانات السماوية على عكس قريش ولهذا انتخبها الرسول للمسلمين لتكون بلداً آمناً لهم.

ولما علمت قريش وعاتتها بمحط رجال المسلمين في أرض الحبشة أرسلت في أثرهم مبعوثيها عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص الذي كان على علاقة وطيدة بملك الحبشة، وأرسلت معهما تحفها النادرة، لاستمالة ملك الحبشة إليهم، وتأليبهم ضد المسلمين

(١٣) انظر: سيرة ابن إسحاق: ص ١٩٣.

المهاجرين، وإعادتهم إلى قريش^(١٤)

وكان موقف النجاشي مما تطلعت إليه قريش موقفاً دينياً، إذ آثر التوحيد على هدايا قريش وعلاقاته بعمر بن العاص.

إنّ الحوار الذي جرى بين موفدي قريش وبين المسلمين بزعامة جعفر بن أبي طالب - وتحت نظر ومسائلة ملك الحبشة النجاشي - انتهى بإعلان النجاشي عن وجود قرابة دينية بين الإسلام والمسيحية^(١٥)

إنّ الإسلام الذي هاجر من أجله المسلمون يحمل أسمى المعاني الإنسانية وأرقى التعاليم

(١٤) انظر: سيرة ابن إسحاق: ص ١٩٣.
(١٥) انظر: إعلام الوري بأعلام الهدى: ص ١١٥.

الأخلاقية، وله صلة وثيقة بالأديان السماوية السابقة، وقد أوضح ذلك جعفر بن أبي طالب للملك النجاشي عندما كادهم عمرو عنده، فقال جعفر: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل منا القوي الضعيف، فكنا على ذلك، حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآبائنا من دونه من الحجارة والأوثان. وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا:

أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً ،
وأمرنا بالصلاة ، والزكاة ،
والصيام... وقرأ عليه جعفر بن
أبي طالب بعض سورة الكهف فبكى
النجاشي حتى أخضت لحيته ، وكذلك
أساقفته ، ثم قال النجاشي: إن هذا
والذي جاء به عيسى ليخرج من
مشكاة واحدة إنطلقا ، فوالله لا
أسلمهم إليكما ولا يكادون. ثم غدا
عمرو في اليوم التالي ليخبر
النجاشي ، بأن المسلمين يقولون إن
عيسى بن مريم عبد فأرسل إليهم
فسألهم فقال له جعفر: نقول فيه
الذي جاء به نبينا (ص) هو عبد الله
ورسوله ، وروحه وكلمته التي
ألقاها إلى مريم العذراء ،
البتول ، فتناول النجاشي عوداً ،
وقال والله ما عدا عيسى بن مريم ما

قلت هذا . فتناخرت بطارقته ، فقال :
وإن نخرتم إذهبوا فأنتم شيوم : أي
آمنون ، من سبكم غرم - قالها ثلاثاً
- ما أحب أن لي دبرا - أي جبلاً -
من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم . ثم
رد هدايا قريش^(١٦) .

لقد شهد أهل الكتاب بحقيقة
النور الذي خرج من مكة وتأثروا
وبكوا وأعلنوا أنّ بلاد أهل الكتاب
هي بلاد المسلمين وهم فيها آمنون ،
ومنح المسلمون حرّيتهم الدينية
كما أنّ المسلمين لم يستغلوا تلك
الحرية إستغلالاً سيئاً ، بل كانت
مبادئ الرحمة والتسامح واحترام
دين الآخرين من المفاهيم التي
تربّوا عليها وعملوا بها .

(١٦) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) : ج ٣
ص ١٣٢ - ١٣٣ .

~ ~ ~

النبي الأكرم (ص) يكاتب ساسة أهل الكتاب

كانت الرسالة الإلهية التي بعث بها النبي (ص) تتسم بالشمولية: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }^(١٧)، وخاطب القرآن الناس عموماً: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ } واستخدم لطيف العبارات في تذكير الإنسان بما فطر عليه: { يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ } .

إنَّ النداء السماوي قد سرى بسرعة بين الناس على اختلاف ألسنتهم وصورهم وطبقاتهم، ففي أواخر السنة السادسة من الهجرة، وبعد صلح الحديبية^(١٩) أخذ نور

(١٧) سورة سبأ: الآية ٢٨ .

(١٨) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧ .

(١٩) انظر: الإصابة: ج ٦ ص ٢٩٦ .

الرسالة الإسلامية ينطلق إلى خارج حدود الجزيرة العربية حيث أنفذ النبي (ص) عدداً من المبعوثين يحملون معهم رسائل منه إلى الملوك والأمراء وزعماء القبائل آنذاك.

ومن الإشارات المهمة عن تلك الرسائل أنها استخدمت لغة الكلمة الرصينة في إبلاغ ما جاء به النبي من الهدى، كما أنّ الرسول الأعظم هو أول من بادر في مكاتبتهم وتبجـيلهم بلغة الاحترام فيقول: < كسرى عظيم الفرس > و < هرقل عظيم الروم > و < المقوقس عظيم القبط > .

فقد بعث رسول الله (ص) دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر وهو هرقل

ملك الروم فوصل إلى بصرى وبعثه صاحب بصرى إلى هرقل وكان يرى في ملاحظتهم أنّ ملك الختان قد ظهر (٢٠) فقرأ الكتاب وإذا فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من أتبع الهدى (أما بعد) فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الإريسيين و { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِذَا تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (٢١) .

إنّ هذه الرسالة تؤكد أن الإسلام يمد يد السلام والتعاون إلى ملك الروم في سبيل أن ينال الأجر ضعفين من الله < المؤمن السلام >،

(٢٠) تاريخ ابن خلدون: ج ٢ ص ٣٦ .

(٢١) المحلى: ج ١ ص ٨٣ .

وأن لا يكون سبباً في تحمل أوزار القوم بصددهم عن الصراط، فالرسول الأكرم يتحدث بلغة الاطمئنان والوثوق في دعوة الملوك والناس إلى الله تعالى عبر التسليم بالإسلام، وقد ركّز الرسول الأعظم على نقاط الالتقاء بين الإسلام والديانة المسيحية وهي عبادة الله تعالى، وتوحيده، وترك ربوبية الناس على بعضهم بعضاً. إنّ الآية تحث على إيجاد أرضية مشتركة مع الأديان السماوية جميعاً، ونبذ اللغة التي تبحث عن الخلاف والعداء.

وبعث النبي (ص) حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس فلما انتهى إلى الإسكندرية وجده في مجلس مشرف على البحر فركب البحر فلما حاذى مجلسه أشار بالكتاب بين إصبعيه

فلما رآه أمر به فأوصل إليه فلما قرأه قال: < ما منعه إن كان نبياً يدعو عليّ فيسلط عليّ فقال له حاطب ما منع عيسى أن يدعو علي من أراده بالسوء قال فوجم لها ثم قال له أعد فأعاد ثم قال له حاطب إنه كان قبلك رجل زعم أنه الرب الأعلى فانتقم الله منه فاعتبر به وإنّ لك ديناً لن تدعه إلى دين هو خير منه وهو الإسلام، وما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارته بمحمد ولسنا ننهاك عن دين عيسى بل نأمرك به فقرأ الكتاب فإذا فيه من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى فذكر مثل الكتاب إلى هرقل فلما فرغ أخذه فجعله في حق من عاج وختم عليه... > (١) في هذا هذا الكتاب تبجيل من النبي للمقوقس بقوله < عظيم القبط >

(١) الإصابة: ج ٦ ص ٢٩٦.

فهذه العبارة تراعي شأنية المقوقس ومنزلته بين قومه .
إنّ النبي (ص) فتح باب الدعوة إلى الإسلام وانتخب رجالاً يمتازون بالشجاعة والإطلاع على تعاليم الإسلام ويملكون لباقة وقدرة في إيصال البلاغ الإلهي، لقد كان رد فعل المقوقس ينبئ عن وجود قناعة بتصديق الرسول ورسالته حيث أكرم وفادة حاطب وأجاب على الكتاب: < أمّا بعد فقد قرأت كتابك وذكر نحو ما ذكر لحاطب وزاد وقد أكرمت رسولك وأهديت إليك بغله لتركبها وبجارتين لهما مكان في القبط وبكسوة والسلام >^(١).

(١) المصدر السابق: ج ٦ ص ٢٩٧.

إنّ منطلق كتاب النبي الأعظم، وبلاغة حاطب تنمان عن حقيقة إنسانية يدعو إليها الإسلام وهي إيصال تعاليم الإسلام إلى الناس جميعاً من أجل أن يبلغوا الكمال الإنساني والحياة الأفضل، ولهذا قطع حاطب مسافات بعيدة في سبيل بلوغ هذا الهدف.

أمّا الرسالة التي بعث بها الرسول (ص) إلى النجاشي فهي مثل باقي الرسائل إلى الملوك تحمل الاحترام والتقدير للأديان الأخرى، وتعطي الكلمة دوراً بارزاً في الرسالة، فقد بعث رسول الله (ص) عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً: «بسم الله الرحمن

الرحيم من محمد رسول الله إلى
النجاشي الأصحم عظيم الحبشة سلام
عليك فإني أحمد إليك الله الملك
القدوس السلام المؤمن المهيمن
وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله
وكلمته ألقاها إلى مريم الطيبة
البتول الحصيئة فحملت بعيسى
فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم
بيده ونفخه وإني أدعوك إلى الله
وحده لا شريك له والموالاتة على
طاعته تتبعتني وتؤمن بالذي جاءني
فإني رسول الله وقد بعثت إليك ابن
عمي جعفرأ ومعه نفر من المسلمين
فإذا جاءوك فأقرهم ودع التجبر
وإني أدعوك وذنودك إلى الله فلقد
بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام
على من اتبع الهدى»^(١) .

(١) تاريخ ابن خلدون: ج ٢ ص ٣٦ - ٣٧.

إنّ هذه الرسالة تريد أن تؤكد الصلة بين الأنبياء والتي تتبعها العلاقة بين البشر وفيها دعوة للنجاشي وجنوده أن يدخلوا في الكرامة الإلهية وهي الدين الحقّ من دون إكراه ولهم حقّ النصيحة في ذلك.

جدير بالذكر أنّ تلك الرسائل قد حركت دواعي السؤال والاستفسار عند أولئك الملوك والأمراء فأخذ بعضهم يتحرى عن الحقيقة نظير هرقل والمقوقس وقيل إنّ الملك النجاشي قد أسلم وجهه لله وآمن بما جاء به الرسول (ص) (٢). كما أن مكاتيب الرسول تركت صدئاً في تلك البلاد بوجود مبعوث إلهي ينذر ويبشر الناس باليوم الآخر.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون: ج ٢ ص ٣٦ - ٣٨.

الرسول الأعظم (ص) يحاور أهل الكتاب

وضح القرآن للمسلمين أدب
الجدال بينهم وبين أهل الكتاب،
ومن هذا الأدب أن يعلن المسلمون
إيمانهم بأديان أهل الكتاب تقرباً
منهم^(٣)، قال تعالى: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ
إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِ
أُنزِلَ إِلَيْنَا }^(٤) .

الإسلام يدعو المسلمين لحمل
هدف مقدس وهو الجدال الأحسن والذي
يحمل معاني الهداية للآخرين بعيداً
عن روح التخاصم، ويريد أن ينتهي
الحوار مع الآخرين بالوفاق على
أرضية واحدة { أمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم... }
لقد دأب النبي (ص) على استيعاب

(٣) مقارنة الأديان، الإسلام، د. أحمد شلبي: ص
١٦٩.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ٤٦.

الآخرين - من مختلف الأديان - بالحكمة والموعظة الحسنة، وكان عندما يجادلهم يرسل إليهم دلالات أخلاقية كبيرة، ففي السنة العاشرة من الهجرة أرسل النبي (ص) كتابا إلى أبي حارثة أسقف نجران ومن معه دعاهم فيه إلى الإسلام، وتداولوا الرأي والمشورة في الأمر الذي دعاهم إليه الرسول (ص) فأنتهى رأيهم إلى مقابلة النبي (ص) ومحاججته أو التفاوض معه، وانتدبوا لهذا ستين رجلاً من كبار أهالي نجران وعلمائهم. وعندما وصلوا إلى المدينة جرى حوار طويل ونقاش بينهم وبين الرسول الأكرم، ولم يسفر ذلك الحوار عن نتيجة مرضية للطرفين وعندما أمر الله تعالى نبيه الكريم أن يقترح

عليهم المباهلة^(٥) فقبلوا ذلك،
على أن يكون في يوم الرابع
والعشرين من شهر ذي الحجة سنة
١٠هـ ، وجاء الطرفان في اليوم
المعلوم ، وأقبل النبي (ص) مصطحبا
معه أهل بيته وهم علي وفاطمة
والحسن والحسين # ، وفي مشهد
معنوي مؤثر جثا الرسول (ص) ومن
معه من أهل بيته استعداداً
للمباهلة ، وانبهر الوفد وترددوا
وأكبروا ما رأوا من جلال المشهد
المقدس لتلك الأنوار وذكر الشيخ
الطبرسي أنّ رسول الله لما دعاهم :

(٥) في معنى الابتهاال قولان أحدهما : «إنّه
بمعنى الالتعان... بهلة الله أي: لعنة الله. وعليه
بهلة الله أي: لعنة الله. والأخرى إنه بمعنى
الدعاء بالهلاك... فالبهّل كاللعن وهو
المباعدة عن رحمة الله عتاباً على معصيته ،
ولذلك لا يجوز
أن يلعن من ليس بعاصٍ من طفل أو بهيم أو
نحوها>. تفسير مجمع البيان: ج ٢ ص ٣٠٨.

<إلى المباهلة استنظروه إلى صبيحة غد من يومهم ذلك، فلما رجعوا إلى رجالهم، قال لهم الأسقف: أنظروا محمداً في غد، فإن غدا بولده وأهله، فاحذروا مباهلتيه، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه على غير شيء، فلما كان الغد جاء النبي (ص) آخذاً بيده علي بن أبي طالب والحسين بين يديه يمشيان، وفاطمة تمشي خلفه، وخرج النصارى يقدمهم أسقفهم فلما رأى النبي (ص) قد أقبل بمن معه سأل عنهم، ف قيل له: هذا ابن عمه، وزوج ابنته، وأحب الخلق إليه. وهذان ابنا بنته من علي ؑ وهذه الجارية بنته فاطمة، أعز الناس عليه، وأقربهم إلى قلبه. وتقدم رسول الله (ص) فجثا على ركبتيه. قال أبو

حارثة الأسقف: جثا والله كما جثا
الأنبياء للمباهلة فكع^(٦) ولم يقدم
على المباهلة. فقال السيد: أدن
يا أبا حارثة للمباهلة. فقال: إني
لأرى رجلاً جريئاً على المباهلة،
وأنا أخاف أن يكون صادقاً، ولئن
كان صادقاً لم يحل والله علينا
الحول، وفي الدنيا نصراني يطعم
الماء! فقال الأسقف: يا أبا
القاسم! إنا لا نباهلك،
ولكن نصالحك فصالحنا على ما
ينهض به. فصالحهم رسول الله (ص) >^(٧)

وذكرت كثير من المصادر
الحديثية والتفسيرية هذه الحادثة
وذلك عند تفسير قوله تعالى: { فَمَنْ

(٦) كع: ضعف.

(٧) تفسير مجمع البيان: ج ٢ ص ٣٠٩.

حَآجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَاقْبَلْ تَعَالَوْا نَبِيَّ أَنْبَاءَنَا وَنَبَاءِكُمْ
 وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَنَفْسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَتَجْعَلْ لِعَبَةِ اللَّهِ عَلَى
 الْكَافِرِينَ } (٨) حيث ذكروا أن هذه الآية
 لما نزلت دعا رسول الله (ص) إلى
 الحوار من أجل الوصول إلى
 الحقيقة، وأبدى رغبة شديدة في
 هدايتهم، كما أن الرسول (ص) كان
 في غاية الأدب مع نصارى نجران،
 فقد كاتبهم ثم حاورهم وبعدها ضرب
 أجلاً للمباهلة ثم جاء بأهل بيته
 يجللهم التواضع حيث < جثا الرسول
 كما جثا الأنبياء للمباهلة >.

نعم لقد كانت العبودية لله
 بادية على النبي وأهل بيته،
 وواجه أهل نجران دعوة النبي في
 قبولهم للحوار والجدال، وعندما
 حلّ وقت المباهلة انصرفوا وفضلوا

(٨) سورة آل عمران: الآية ٦١.

المصالحة فقد أخرج أبو نعيم في <
الدلائل > من طريق عطاء ، والضحاك
عن ابن عباس أن ثمانية من أساقفة
أهل نجران قدموا على رسول الله (ص)
منهم العاقب والسيد فأنزل الله
تعالى { قُلْ تَعَالَوْا } الآية فقالوا:
أخرنا ثلاثة أيام فذهبوا إلى بني
قريظة والنضير وبني قينقاع
فاستشاروهم فأشاروا عليهم أن
يصالحوه ولا يلاعنوه ، وقالوا هو
النبي الذي نجده في التوراة
فصالحووا النبي (ص) (٩) .

~ ~ ~

تعاليم أنزلت على الرسول (ص) في أهل الكتاب

نزلت على الرسول (ص) سور وآيات عديدة فيها دروس وعبر عن الأمم الماضية، وتناولت تاريخ الأنبياء والنقاط المحورية في أدوارهم المختلفة، وفيما يلي نتعرض لذكر أهم تلك التعاليم الإلهية، وما صدر عن الرسول الأكرم بهذا الصدد:

١- تعاليم عن الأنبياء

الرسالة الإسلامية شاملة لأبعاد التاريخ الإنساني المختلفة، واحتل الكلام الإلهي عن الأنبياء موقعاً متقدماً حيث تم إيراد أسماء عددٍ من الأنبياء والمرسلين^(١٠)، كما في

(١٠) في رواية: إنّ عدد أنبياء بني إسرائيل بلغ ألف نبي، وفي رواية أخرى: إنّ عدد أنبياء بني إسرائيل أربعة آلاف نبي، وكل

قوله تعالى: { وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَادِينَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَكَرِيمًا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِن آبَائِهِمْ وَإِبْرَاهِيمَ وَخَوْنِهِمْ وَجَعَلْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (١١) إِنَّ هَذِهِ آيَاتُهَا وَغَيْرَهَا تَمْنَحُ الْفَرْدَ الْمُسْلِمَ ثِقَافَةً فِي الْإِطْلَاعِ عَلَى الْدِيَانَاتِ الْآخَرَى بِحَيْثُ يَتَعَرَفُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ خِلَالِ الْقُرْآنِ .

لقد أعطى القرآن صورة مقدسة عن أنبياء بني إسرائيل، وبما أن النبي (ص) يعرف الخطاب القرآني

هذه كانت مواهب ونعماً من الله سبحانه . أنظر
الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج ١٦ ص
٢٠٥ .

(١١) سورة الأنعام: الآيات ٨٣ - ٨٨ .

بكامل أبعاده، فقد تعرض لذكر الأنبياء وما جرى عليهم، وما كانوا فيه بحيث ربّى المسلمين على ثقافة توقير الأنبياء ودياناتهم. فكان النبي يقول: <أخي موسى > و <أخي عيسى > على اعتبار أنهم ينتسبون إلى ديانة سماوية واحدة. يمثل النبي الأعظم آخر حلقاتها. فعندما يأتي النبي (ص) على ذكر موسى يقول: <رحم الله أخي موسى آجر نفسه بطعام بطنه وعفة فرجه> (١٢) ويذكره بكامل الاحترام، وينشر أخلاقه بين المسلمين، ويشير إلى رباط الأخوة المقدس بين الأنبياء.

وكان النبي الكريم يمجّد بالأنبياء ويعرض على الناس

(١٢) المغني: ج ٨ ص ١٩٢.

تجاربهم وأعمالهم في التقرب إلى
الله تعالى فقد كان يقول: < «أفضل
الصوم صوم أخي داود كان يصوم يوماً
ويفطر يوماً ولا يف إذا لاقى > (١٣)
وعلم النبي (ص) أصحابه الوصايا
الإلهية التي تلقاها عيسى من الله
تعالى < يا أبا ذر إن الله تعالى أوحى
إلى أخي عيسى \$: يا عيسى، لا تحب
الدنيا فإني لست أحبها، وأحب الآخرة
فإنها دار المعاد... > (١٤)

وتحسن الإشارة إلى أن × النبي
(ص) في أثناء معراجه إلى السماء
كان قد التقى بأنبياء الله وتحدث
معهم ورأى منازلهم، ومن بينهم
أنبياء بني إسرائيل، وبهذا الصدد

(١٣) سنن الترمذي: ج ٢ ص ١٣٤، ونيل الأوطار:

ج ٤ ص ٣٤٣.

(١٤) الأمالي: ص ٥٣١.

روى البخاري: < الأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد > (١٥).

والقرآن الكريم أتى على ذكر المعجزات والدلائل التي لأنبياء بني إسرائيل فقال عز وجل: { وآتيناهم بيّنات من الأمر } (١٦) ومن الممكن أن يكون في هذه الآية إشارة إلى المعجزات الواضحة التي أعطاها سبحانه موسى بن عمران وسائر أنبياء بني إسرائيل (١٧).

إنّ وجود قصص أنبياء بني إسرائيل في القرآن تمثل أصدق تمثيل للغة الألفة التي يقدّمها القرآن ويبينها النبي (ص) عن الأنبياء باعتبارهم سفراء الوحي

(١٥) صحيح البخاري، ج ٤ ص ١٤٢.

(١٦) سورة الجاثية: الآية ١٧.

(١٧) تفسير الأمل: ج ١٦ ص ٢٠٥.

الإلهي .

وعليه فتلك التعاليم التي
أنزلت على النبي الأمي هي في واقع
الأمر لاستلهاهم العبرة، واستخلاص
التجربة التي خاضها الأنبياء من
أجل صناعة الإنسان القدوة، وتنطوي
تلك التعاليم على دعوة لأهل
الكتاب في أن يسمعوا وينصتوا
للآيات الكريمة ويغترفوا من
منبعها الصافي الثر.

٢ - تعاليم عن أقوام أهل الكتاب

تحدث القرآن عن وجود مجتمعات
متوزعة في أماكن وأزمنة مختلفة،
وقد عاصروا الأنبياء الذين جاهدوا
في
سبيل تخليصهم من نير الاستعباد،

وضرب القرآن مثلاً لعصر النبي يوسف \$، ففي عصره كان المجتمع مركب من طبقات متباينة الحال، حيث توجد طبقة حاكمة صاحبة امتيازات وصلاحيات واسعة، وفي مقابلها توجد طبقة دنيا في المجتمع يمثلها عامة المصريين والعبيد، نظير الفتيان اللذان دخلا السجن مع يوسف { ودخل معه السّجن فتیان } (١٨) ، أو يوسف \$ الذي زج به في غياهب السجون من دون محاكمة .

وكان لوجود النبي يوسف بينهم دور في قلب المعادلة لصالح الطبقات الفقيرة، إلا أنّ الناس وعلى الرغم من الدلائل الواضحة التي أتى بها لزال الشكّ يتسرب إلى نفوسهم، وكانوا يعيشون معه

(١٨) سورة يوسف: الآية ٣٦ .

ضمن إطار ضيق وهو الرئاسة
الدنيوية عليهم قال تعالى: { وَلَقَدْ
جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا
هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنِ هُوَ مُقِبٌ
مُرْتَابٍ } (١).

إن هذه المعرفة الاجتماعية التي
ضخها القرآن، تزرع في نفوس
المسلمين الوعي والإدراك في النظر
إلى الأوضاع الاجتماعية واتخاذ
الموقف السليم منها.

وفي زمن النبي موسى \$
عانى الناس الأمرين من بطش فرعون
وعلى مدى دهر متطاوول، حيث فرض
عليهم حياة الذل والخضوع فأورثهم
مصيراً مؤلماً: { يَسُبُّواكُم سُبُوَ الْعِبَادِ يَذَّبَحُونَ
أَبْنَاءَكُمْ } (٢) إلى أن أنقذهم الله بموسى \$

(١) سورة غافر: الآية ٣٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤١.

§ من فرعون وجنوده . وحصل موسى §
على تأييد أولئك المضطهدين، فيما
عارضه الملأ من قوم فرعون: { وَقَالَ الْمَلَأُ
مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدَّ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَزِيلُوا لِهَيْبِكَ قَبَالَ
سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ } (١) .

وكان التسديد الإلهي بارزاً
فلم يكن لفرعون يد على أولئك
الذين تبعوا موسى § فرغم التهديد
والوعيد وما لا قوة من عذاب فإنهم
نصروا في نهاية الأمر: { فَوَقَاهُ اللَّهُ سَبِيحَاتٍ
مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ } (٢) .

والمجتمع الإسرائيلي الذي عاصره
موسى § كان يميل إلى تغليب
النظرة الحسية في قضاياها
الدينية: { وَذُكِّرْتُمْ يَا مُوسَى لِنِ تُوْمَن لَكَ حَتَّى نَجْرَ اللّٰه
جَهْرَ } (٣) و { اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا } (١) و { ثم اتخذتم

(١) سورة الأعراف: الآية ١٢٧ .

(٢) سورة مؤمن: الآية ٤٥ .

(٣) سورة البقرة: الآية ٥٥ .

العجل... { (٢) } وهي نظرة ورثها المجتمع من الظروف السيئة التي تم تحميلها على الناس آنذاك، فقد أراد القِيَمون على المجتمع أن يدور الناس في جميع شؤونهم داخل الحلقة المغلقة لمصالح فرعون وفئته المتجبرة مما جعل المجتمع يعيش في جهل مطبق.

وفي مقابل ذلك توجد - شريحة اجتماعية قليلة العدد لها ثقلها في داخل المجتمع فهم يتفاعلون ويؤثرون فيه : { وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رِجَالًا يَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِن يَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَاذِبٌ فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكْفُرُوا فَإِنَّكَ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } { (٣) ، } وَقَالَ الَّذِينَ أُتُوا الْعِلْمَ وَيُلَكُمْ ثَوَابَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَدَلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ

(١) سورة الأعراف: الآية ١٣٨ .

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥١ .

(٣) سورة المؤمن: الآية : ٢٨ .

} (١)

إنّ هذه التعاليم وغيرها تعكس تنوع التاريخ الإنساني وترابطه، والقرآن عند ما يعرض الفترات المختلفة، يريد أن يقول أن التاريخ هو لجميع الإنسانية، وليس لقوم دون قوم أو لزمان دون زمن كي ينظروا فيه ويعتبروا.

٣- تعاليم عن الأوضاع السياسية

أشرنا في معرض حديثنا عن المجتمع إلى وجود طبقة سياسية حاكمة متنفذة قد استحسنت تغييب باقي طبقات الناس، فقد سلك فرعون سياسة فردية لتكريس سلطته، بعيداً عن أيّ اعتبار لآراء الآخرين:

(١) سورة القصص: الآية ٨٠.

{ قَالَ فِرْعَوْنُ مَبَارَكُكُمْ إِلَّا مَبَارَكِي وَوَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ } (١)
وشط به التكبر إلى إدعاء الربوبية على الناس وفرض ذلك عليهم : { فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى } (٢) ، { وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي } (٣) .

إن التركيبة النفسية لفرعون قائمة على إلغاء الآخرين وعدم الاستماع إليهم وأكثر من ذلك تصفيتهم جسدياً { وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَبْتَلُ مَوْسَى } (٤) .

وقد ذهب الملائمة من قوم فرعون إلى تأييده وعدم مخالفته : { فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَوَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ } (٥) بل إنهم أصبحوا يسلكون نفس الطريقة التي

(١) سورة المؤمن: الآية : ٢٩ .

(٢) سورة النازعات: الآية : ٢٤ .

(٣) سورة القصص: الآية : ٣٨ .

(٤) سورة المؤمن: الآية : ٢٦ .

(٥) سورة هود: الآية : ٩٧ .

يفكر بها الحاكم { قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ } (١).

إنّ رؤية الأشياء من منظار الحاكم المتغطرس يؤدي إلى انعدام الرؤية الصحيحة للأشياء، وقد ردّ موسى مستنكراً الرؤية المقلوبة التي عليه قوم فرعون { قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسْحَرْتُ بِهِ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ } (٢)

وهكذا نلاحظ أنّ القرآن يقوم - بتزويد المسلمين من سيرة أنبياء بني إسرائيل، وألقى في سمعهم وبصائرهم أحسن القصص لينهلوا من معينها.

وقد ظهر من خلال الآيات آنفة الذكر وجود طبقة سياسية قليلة العدد تسعى دائماً إلى اتخاذ قرارات فردية ضالة ظالمة على حساب رغبة غالبية الناس، مما أدى

(١) سورة الأعراف: الآية: ١٠٩.

(٢) سورة يونس: الآية: ٧٧.

إلى إرتكاب أخطاء كثيرة وكبيرة
زجت بالناس في نفق التيه: { وَضَلَّ
فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ } (١)

إنّ الإسلام يمجّد الدور التغييري
لموسىؑ، وينبذ سياسة القوة
والقهر التي إتكا عليها فرعون
ومعاونيه، ويدعوا القرآن
المسلمين إلى الأخذ من عملية
التغيير التي خاضها موسىؑ.

~ ~ ~

(١) سورة طه: الآية: ٧٩.

نماذج أخلاقية للرسول (ص) في أهل الكتاب

سجل الرسول الأعظم على جبين التاريخ معاني سامية، لا تقاس بشيء لأنها تتقدم على غيرها وهي مثل عليا تغترف منها الإنسانية، ولذا وصف بما جاء به للناس {رحمة للعالمين}، حيث عكس الوجه الحقيقي للقيم السماوية فهو المعلم الأول، المربي الأكبر للإنسانية، وقد قدم نماذج يعشو إلى ضوئها المؤمنون، ومنها ما بسطه من كريم أخلاقه في أهل الكتاب، وكانت كما يلي:

النموذج الأول: التواصل الاجتماعي

كان الرسول (ص)، يدأب ليله ونهاره في الالتقاء بالناس والنظر في شؤونهم وتعليمهم أمورهم الحياتية والدينية، وكان يدعو الناس إلى انتهاز الفرصة في الأخذ من حظهم لآخرتهم في كل لحظة أو حالة ترد عليهم، ومما حث

المسلمين عليه هو عيادة المريض
أياً كانت هويته فقال (ص): <
أيما رجل عاد مريضاً فإنما يخوض في
الرحمة، فإذا قعد عند المريض غمرته
الرحمة > (١) فلم يقل الرسول (ص) <
عاد مريضاً مسلماً > وإنما هو
إنسان < مريض > بغض النظر عن
دينه وعرقه وعشيرته. وروي
البيهقي عن أنس قال: < كان رسول
الله - (ص) - إذا عاد رجلاً على غير
الإسلام جلس عنده، وقال: كيف أنت
يا يهودي، كيف أنت يا نصراني بدينه
الذي هو عليه > (٢)

لقد كان من سيرته أن يتفقد
الناس ويسأل عنهم، فقد روي < إنَّ
غلاماً من اليهود كان مريضاً، فأتاه

(١) سبل الهدى والرشاد: ج ١٢ ص ١١٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد: ج ٢ ص ١١٤.

النبي (ص) يعود ه، فقعد عند رأسه فقال له: (أسلم) فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه فقال [له أبوه]: أطع أبا القاسم، فأسلم... >(٣) .

ويظهر من الروايات أنّ النبي (ص) قد بث هذه الأخلاق الاجتماعية بين الناس من أجل توثيق الصلة بين الناس، وبعيداً عن الفواصل النفسية التي قد تعتري حياة الإنسان.

النموذج الثاني: الكرامة الإنسانية

كان الرسول الأعظم (ص) قد دعا الناس عموماً إلى الإسلام ولم يستثن أحداً من دعوته، وأسلم له العربي وغير العربي نظير صهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وبلال الحبشي،

(٣) سنن أبي داود: ج ٢ ص ٥٧ .

وأضحى الناس سواسية في العبودية لله وفي التكليف الإلهية، وتغيرت المعايير المجحفة إلى معايير إنسانية يتقدم فيها الإنسان كلما كان تقياً: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَنُنْبِئُكُمْ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } (٤).

والإسلام يكرّم الإنسان بغض النظر عن لونه ولغته ودينه، ويحترم وجوده وما يتميز به من مزايا في خلقه < الناس صنفان أما لك في الدين أو نظير لك في الخلق > (٥) لقد وهب الله تعالى للإنسان طيبات كثيرة، واسبغ عليه من فضله ما يشاء تكريماً له: { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَابْجُرْزَ قَبَائِلَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } (٦).

(٤) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٥) شرح نهج البلاغة، محمد عبده: الكتاب ٥٣.

(٦) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

فلإنسان الكرامة والتقدير والتفضيل على كثير من المخلوقات أوّلاً لا على أساس خياره العقائدي؛ بل على أساس أنه إنسان ونظير للإنسان في الخلق، فقد روي البخاري: < إِنَّ النَّبِيَّ (ص) مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهَا جَنَازَةٌ يَهُودِيٍّ فَقَالَ أَلَيْسَتْ نَفْسًا > (٧)، فالرسول الأعظم ينظر إلى أنه إنسان وعليهم أن يقوموا تكريماً له وكان الرسول (ص) قد علم المسلمون أن يقوموا عندما يرون أي جنازة كما في الرواية عن جابر بن عبد الله عن النبي قال: إذا رأيتم الجنّازة فقوموا (٨) إنّ الرسول الأعظم يعلم الناس تجاوز الأطر الضيقة والانتساب إلى عالمية

(٧) صحيح البخاري: ج ٢ ص ٨٧.

(٨) انظر: صحيح البخاري: ج ٢ ص ٨٧.

الإسلام الذي يخاطب جميع الناس،
ويطمح أن يعيشوا سويًا بسلام
واحترام.

والدين الإسلامي يريد أن يقيم
علاقات إنسانية عادلة بعيدة عن
العداء، والبغضاء: { نِ وَاللَّهُ بِأَمْرِ الْعَبِيدِ
وَالْإِحْسَانِ } (٩) فلم يحدد العدل والإحسان
ويحصره فيما بين المسلمين، وإنما
أطلق الأمر بالعدل والإحسان ليشمل
غير المسلمين بل حتى مع الأشياء
من حولهم، ومن رحمة الله تعالى على
عباده أن يأمرهم بامتطاء مركب
العدل في الارتباط بخلق الله تعالى،
وبعيداً عن التأثيرات والانفعالات
النفسية: { وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْبُدُوا عِبَادُوا
هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ } (١٠) وروى الطبرسي نزول

(٩) سورة النحل: الآية ٩٠.

(١٠) سورة المائدة: الآية ٨.

آيات قرآنية تدافع عن رجل يهودي اسمه زيد بن السهين قد اتهم ظلما من أحد المسلمين ويدعى أبو طعمة وينتسب إلى قبيلة بني أبيرق، وكاد النبي يصدقهم عند ما جاءوا ليتهموا اليهودي، فنزل القرآن يبرئ ساحة اليهودي: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا رَأَى اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْجَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلَا تُجَالِسُوا الَّذِينَ يَخَبَرُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا } (١١) > (١٢) .

أما صفة الإحسان التي أمر الله بها فقد تحلى بها النبي (ص) حتى نعت بها من قبل المسلمين وغيرهم وقد روي أن من صفات النبي (ص) <يجزي بالسيئة الحسنة ولا يكافئ بالسيئة >، وقد أسلم أحد أخصار اليهود عند ما رأى إحسان النبي وصفاته

(١١) سورة النساء: الآيات ١٠٥ - ١٠٧ .

(١٢) انظر تفسير جوامع الجامع ج ١ ص ٤٣٨ ؛

تفسير مجمع البيان: ج ٣ ص ١٨٤ .

المذكورة في التوراة (١٣) .
وروى حبة أن علياً \$ لما نزل
على الرقة، نزل بموضع يقال له
البليخ على جانب الفرات، فنزل
راهب من صومعته، فقال لعلي \$:
إن عندنا كتاباً توارثناه عن
آبائنا، كتبه أصحاب عيسى بن
مريم، أعرضه عليك؟ قال: نعم،
فقرأ الراهب الكتاب: بسم الله
الرحمن الرحيم. الذي قضى فيما
قضى، واطر فيما كتب: أنه باعث في
الأميين رسولاً منهم، يعلمهم الكتاب
والحكمة، ويدلهم على سبيل الله لافظ
ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا
يجزي بالسيئة السيئة، بل يعفو
ويصفح - إلى أن قال - فمن أدراك

(١٣) انظر: تخريج الأحاديث والآثار: ج ٣ ص ٤٨
؛ انظر: السيرة الحلبية: ج ١ ص ٣٤٧.

ذلك النبي من أهل هذه البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني وجنتي > (١٤) .
وقد أسلم ذلك الراهب وأُصيب في صفين ووجد صريعاً فصلى عليه ودفنه الإمام علي \$ وقال هذا منا أهل البيت، واستغفر له مراراً (١٥) .

ويتضح مما تقدم أنّ للإنسان كرامته وقيّمته عند الله تعالى، وتعلو مكانته كلما انتخب أساساً عقائدياً سليماً وتقرب من الله تعالى.

النموذج الثالث: المودّة والسلم

كان الرسول الأعظم يتحرك في سبيل هداية الناس بدافع من رغبته في نجاتهم، وما ذاك إلا لمحبتة ومودته للناس جميعاً { حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

(١٤) شرح نهج البلاغة: ج ٣ ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(١٥) انظر: المصدر السابق: ج ٣ ص ٢٠٦ .

تُؤَوَّفُ رَحِيمٍ } (١٦).

إنَّ رهافة حس الرسول (ص) هي التي تدعوه أن يتحسس آلامهم، ولذا يحرص على إنتشال الناس من العيش الضنك إلى رحاب رحمة الله.

ولقد كان الرفق قريناً له، فعند ما يرى إنساناً على غير الدين الذي إرتضاه الله تعالى يعرض عليه الإسلام بهدوء وروية ورفق، ولا يرى في ذلك الإنسان عدواً له، بل يرى فيه إنسان له عليه حقّ البلاغ والنصيحة والهداية مهما بلغ بذلك الفرد الجفو عن رسول الله (ص). ففي الحديث أنّ اليهود عند ما قالوا لرسول الله السام عليكم قالت عائشة: السام عليكم يا إخوة القردة والخنازير، فقال لها رسول الله

(١٦) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

(ص): يا عائشة إنّ الفحش لو كان ممثلاً لكان مثال سوء، إنّ الرفق لم يوضع على شيء قط إلا زانه، ولم يرفع عنه قط إلا شأنه^(١).

وقد طلب الرسول (ص) من المسلمين أن يفشوا السلام، فقال: < لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابّوا، ألا أدلّكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام >^(٢) إنّ هذا الحديث يعبر عن روح السلم والموادعة عند الرسول (ص)، لأنّ الإيمان ينعقد في القلب فيما إذا اقترن بالمحبة لبني البشر وقد ربّى الرسول أتباعه من المسلمين على ذلك وعملوا به، فقد أخرج الطبراني عن أبي أمامة الباهلي أنه كان يسلم

(١) الكافي : ج ٢ ص ٦٤٨.

(٢) صحيح مسلم: ح ١ ص ٥٣.

على كل من لقيه . قال : فما علمت
أحداً سبقه بالسلام ، إلا يهودياً مرة
اختبأ له خلف اسطوانة ، فخرج فسلم
عليه . فقال له أبو أمامة : ويحك
يا يهودي ما حملك على ما صنعت؟
قال له : رأيك رجلاً تكثر السلام ،
فعلمت أنه فضل ، فأحببت أن آخذ
منه . فقال أبو أمامة : ويحك إنني
سمعت رسول الله (ص) يقول : < إن الله
جعل السلام تحية لأمتنا ، وأماناً لأهل
ذمتنا > (١) .

~ ~ ~

(١) المعجم الكبير: ج ٨ ص ١٠٩ .

حقوق أهل الكتاب في دولة الرسول (ص)

وضع الرسول الأعظم لائحة تضم مختلف الحقوق لتنظيم شؤون المجتمع على اختلاف هوياتهم، ويعيش الأفراد ضمن أطر إنسانية عادلة، لأنهم ينحدرون في جذورهم إلى: < كلكم لآدم وآدم من تراب >^(١). وفيما يلي بعض تلك الحقوق:

١- الحقوق الحياتية

الإسلام دافع بقوة عن حقوق الآخرين في العيش بأمن ورفاهية وليس لأحد أن يتعدى عليهم فقد قال النبي (ص): < من آذى ذمياً فقد آذاني > ^(٢).

هذا الحديث يشير إلى مدى دفاع

(١) شرح نهج البلاغة: ج ١ ص ١٢٨.

(٢) الصراط المستقيم: ج ٣ ص ١٢.

الرسول الكريم عن غير المسلمين وأيضاً قال (ص): < ألا من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقتة أو انتقصه، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فأنا حججه يوم القيامة > (١). هذه التعاليم تعطي حصانة حياتية لأهل الكتاب في مقابل الظلم الذي قد يصدر من بعض الأشخاص. ولذا فأهل الكتاب تصان حياتهم وكرامتهم ما داموا بين المسلمين بل يدافع عنهم عندما يتعرضون للخطر > وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم > (٢).

فأهل الكتاب يعتبرون جزء من الأمة الإسلامية، ويعيشون ضمن ظروفها كأمة > إنهم أمة واحدة من دون الناس... وإن يهود بني عوف أمة

(١) السنن الكبرى: ج ٩ ص ٢٠٥.

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام الحميري: ج ٢ ص ٣٤٩.

مع المؤمنين > (١)

هذه الحدود والمواد في التعامل مع أهل الكتاب عرّفت الناس أنّهم يملكون حقوق حياتية مشروعة في تكوين روابط اجتماعية سليمة من التنافر والتخاصم، وفي الحديث عن أسامة بن زيد أن النبي (ص) مرّ بمجلس فيه أخلط من اليهود والمسلمين فسلم عليهم (٢). ففيه إشارة واضحة إلى طبيعة الوشائج الاجتماعية بحيث أنهم يعيشون جنباً إلى جنب في روابط إنسانية طيبة.

٢- الحقوق الدينية

إقرار الحقوق الدينية داخل المجتمع هي من القضايا التي أكد عليها الإسلام، فلكي ينعم المجتمع بالحرية لا بد فيه من تفهم لحقوق الآخرين الدينية وعند ما قدم

(١) المصدر السابق: ج ٢ ص ٣٤٨ و ٣٥٠.

(٢) صحيح البخاري: ج ٧ ص ١٣٢.

الرسول المدينة وادع اليهود
وعاهدهم وأقرهم على دينهم: <
لليهود دينهم وللمسلمين دينهم...
وإن بينهم النصح والنصيحة والبرّ
دون الإثم > (١) .

والجدير بالذكر أنّ الحروب
الواقعة في الإسلام إنّما كانت لدفع
المستكبرين، وتوطئة الظروف لإيمان
المستضعفين. وقد كان أولئك
المستكبرين - في عصر الرسول
الأكرم (ص) - يلقون الفتنة بين
أهله، وبؤذون المؤمنين؛ حتى أنّ
النبي الأكرم (ص) أخذ يدعو ويسأل
الله تعالى أن يكفّ بأسهم عنه؛ ليكفّ
عنهم: < اللهم أكفناهم واكفف
بأسهم عنا > (٢)

(١) السيرة النبوية، ابن هشام: ج ٢ ص ٣٤٨.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ج ٢ ص ٥٤.

إن قضية الاعتقاد أو التسليم بالدين تأتي عبر توفير القناعة لآخرين من خلال عرض الأدلة والبراهين، كما أن تلك البراهين والحجج تُعرض على الآخرين ببلاغ حكيم مع ترك الحرية كاملة لهم في الاختيار، لأن الأساس هو إيصال البلاغ الإلهي لهم كاملاً، وليس أن تفرض عليهم تلك البراهين { وَقُلْ لِلَّذِينَ أُتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فِيهَا اسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } (١)

لقد جاء الإسلام بقيم خالدة تعالج مختلف الظروف التي تصادف الإنسان في معترك الحياة، ورغم تعدد السبل التي ينتهجها ويتخذها الإنسان غير أن سبيل السلامة والكمال والسبق في سلم الخيرات

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٠.

ينحصر في الإسلام مع الاعتراف بوجود
مناهج دينية أخرى لكنها قاصرة
ومحدودة لأسباب عديدة : { لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ
شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ } (١) .

ولذا فالإسلام يقبل بوجود
الأديان الأخرى، ويعترف بها كأمر
واقع، وفي مقدمتها الديانتين
المسيحية واليهودية إذ بعد
تبليغها الإسلام، وعدم قبولها به
تؤجل قضية الفصل والاختلاف في
أحقية بعضها على بعض كما في قوله
تعالى : { نَبِيٍّ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَلَّ الَّذِينَ هَبَاؤُا وَكَلَّ الَّذِينَ
وَلَمْ جُوسِ وَكَلَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ } (٢) .

ولم يكتف الإسلام بالاعتراف

(١) سورة المائدة: الآية ٤٨ .

(٢) سورة الحج: الآية ١٧ .

بأهل الكتاب؛ بل أشاد بالدفاع عن حرمة أماكن العبادة الخاصة بهم، والحفاظ عليها في مقابل التعدي من الناس { وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوْمَعُ وَيَعِ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَكَبِيرٌ عَزِيزٌ } (١) .

وقد ورد في السيرة النبوية أنّ المسلمين بعد أن فتحوا حصون خيبر وجدوا في أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاء اليهود يطلبونها وعندئذٍ أمر النبي (ص) بدفعها إليهم (٢) . وبهذا الصدد يعلق المؤرخ اليهودي إسراييل ولفنسون في كتابه تاريخ اليهود في بلاد العرب ، ويقول: < هناك أمر يستوقف

(١) سورة الحج: الآية ٤٠ .

(٢) انظر: السيرة الحلبية، ابن هشام: ج ٢ ص

النظر وهو أنه كان بين الغنائم التي غنمها المسلمون في غزوة خيبر - بعد تأليب أهلها ضد المسلمين - صحائف متعددة من التوراة، فلما جاء اليهود يطلبونها أمر النبي بتسليمها لهم، ويدل هذا على ما كان لهذه الصحائف في نفس الرسول من المكانة العالية، مما جعل اليهود يشيرون إلى النبي بالبنان حيث لم يتعرض بسوء لصحفهم المقدسة... >(١) .

ومما تقدم يظهر أنّ الإسلام يعترف بالحقوق الدينية لأهل الكتاب، ويوفر لهم مكانة في جسم الأمة الإسلامية لتأمين حقوقهم.

٣ - الحقوق الخدمانية

(١) مجلة المنار: العدد ٦٩ في ربيع الثاني ١٤٢٤ هـ.

كان المجتمع في المدينة مركب من قبائل وديانات مختلفة وقد وضع الرسول (ص) عند مجيئه إليها ميثاقاً ينظم شؤون الحياة فيها - باعتبارهم يعيشون ضمن جغرافية واحدة وتجمعهم فيها قواسم مشتركة - وقد أعطى الرسول الأعظم مفهوماً للدولة التي تضم فئات مختلفة لهم حقوق متبادلة < **إنّهم أمة واحدة من دون الناس** > (١) حيث يقدّم بعضهم لبعض خدمات مختلفة سواء في تحقيق التعاون الاجتماعي، أو التكافل فيما بين القبائل والمسلمين < وإن المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل. قال ابن هشام: المفرح: المثقل بالدين الكثير العيال. قال الشاعر:

إذ أنت لم تـبـرح تـؤـدي

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٤٨.

أمانة

وتحمل

أخرى أفرحتك الودائع >(١)

فالمؤمنون لا يتركون مثقلاً يعيش
بين ظهرانيتهم مهما كانت هويته إلا
وأعطوه بالمعروف، لأنهم يعيشون في
أمة واحدة وجاء في عهد المواعدة
أيضاً < وإن اليهود الأوس، مواليهم
وأنفسهم، على مثل ما لأهل الصحيفة
مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة
>(٢) والقرآن لا ينهى المسلمين عن
مطلق البر والعدل مع المخالفين
في الدين إذا لم يقاتلوا
المسلمين: { لا يَنْهَاكُمْ اللهُ عَنِ الَّذِينَ
لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ
مِّن دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ

(١) انظر: المصدر السابق: ج ٢ ص ٣٤٩

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٣٤٩.

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (١)

إن الآية الكريمة صريحة في فتح باب التعامل مع غير المسلمين وفقاً للمعايير الإنسانية والأخلاقية في العدل والإحسان إليهم في قضايا كثيرة ومنها الخدمية وذلك لأنهم يعيشون ضمن إطار دولة الرسول الأعظم في المدينة وعليه فهم ينعمون بالخدمات التي تقدمها للناس عموماً.

~ ~ ~

(١) سورة الممتحنة: الآية ٨.

الخاتمة

كان أهل الكتاب < اليهود والنصارى > لهم حضور فاعل في شبه الجزيرة العربية وخصوصاً اليهود، حيث كانوا يزاولون أعمالاً حرفية كثيرة كمصنعة الأسلحة، والأعمال الزراعية، وكانت لهم ارتباطات لا بأس بها مع القبائل الأخرى أما النصرانية فقد انتشرت في بعض قبائل الجزيرة مثل نجران وبني الحارث وغيرها وساعد على ذلك حملات التبشير التي تدعمها دولة الروم آنذاك.

وقد قام الرسول (ص) بتبليغ رسالة الإسلام في أهل الكتاب ضمن مناسبات عديدة حيث وصل البلاغ

الإلهي إلى الحبشة بواسطة هجرة المسلمين فعرضوا ما عندهم من تعاليم عند حاججة وفد قريش بزعامة عمرو بن العاص، وقد لاحظ الملك النجاشي أن الحق مع المسلمين وشهد ملك الحبشة بوجود قرابة دينية بين الديانة المسيحية والإسلام حيث قال النجاشي: «إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة».

وعمل الرسول (ص) على إيصال دعوة الإسلام عن طريق مكاتبة الملوك والرؤساء من أهل الكتاب وغيرهم مستخدماً لغة الكلمة في احترامهم وتبجيلهم — < هرقل عظيم الروم > و < المقوقس عظيم القبط > وكان قد ذيل كتبه بالآية الكريمة { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا

وَيَبِينُكُمْ... } فِي خَطْوَةٍ مِنْهُ لِإِجَادِ أَرْضِيَّةٍ
مَشْتَرَكَةٍ مَعَهُمْ إِنْ لَمْ يَدِينُوا
بِالْإِسْلَامِ ، وَقَدْ تَرَكْتَ مَكَاتِبَ الرَّسُولِ
صَدَىٍّ وَاسِعاً فِي تِلْكَ الْبُلْدَانِ بِوُجُودِ
مَبْعُوثِ إِلَهِي يَنْذِرُ وَيُبَشِّرُ النَّاسَ
بِالْيَوْمِ الْآخِرِ .

وَاسْتَخْدَمَ النَّبِيُّ أُسْلُوبَ الْحَوَارِ
وَالْجِدَالَ مِنْ أَجْلِ إِصْلَاحِ الْحَقِيقَةِ
بَعِيداً عَنِ رُوحِ التَّخَاصُمِ كَمَا فِي
مَبَاهِلَةِ أَهْلِ نَجْرَانَ الَّذِي أَنْتَهَى
إِلَى الْمَصَالِحَةِ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا سَيِّمَاءَ
النَّبِوَةِ فِيهِ .

أَمَّا التَّعَالِيمُ الَّتِي أَنْزَلْتَ عَلَيَّ
الرَّسُولِ (ص) فِي أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَدْ
أَعْطَيْتَ صُورَةَ مَقْدَسَةٍ عَنِ أَنْبِيَاءِ بَنِي
إِسْرَائِيلَ ، كَمَا عَرَضْتَ الْآيَاتِ
الْقُرْآنِيَّةَ التَّجْرِبِيَّةَ الْقِيَمَةَ الَّتِي
خَاضَهَا الْأَنْبِيَاءُ وَأَتْبَاعُهُمْ

المؤمنون، وقد احتل الحديث عن بني إسرائيل مساحات كبيرة في ثقافة المسلمين، وكان النبي (ص) قد ربى المسلمين على ثقافة توقير الأنبياء فكان يقول < أخي موسى > و < أخي عيسى > على اعتبار أنهم ينتسبون إلى ديانات سماوية يمثل النبي الأعظم آخر حلقاتها.

وكان للرسول (ص) نماذج أخلاقية قد بثها في أهل الكتاب كتواصله الاجتماعي حيث تربطه ببعض اليهود علاقات طيبة حتى أنه كان يعود مرضاهم ويسأل عن أحوالهم ويتفقد غائبهم، وكان يحترم الإنسان إكراماً لإنسانيته بغض النظر عن لونه ولغته ودينه ويقوم لجنابة الرجل اليهودي احتراماً لكونه نظير له في الخلق.

وكان النبي (ص) على ود وسلام مع الناس جميعاً حتى مع أعدائه فكان من سجيته الصفح والعفو فهو يريد توثيق الصلة بين الناس، بعيداً عن الفواصل النفسية التي تعترض حياة الإنسان حتى أنه طلب من المسلمين أن يفشوا السلام بين الناس على اختلاف نحلهم ومللهم.

واعتنى النبي (ص) بحقوق أهل الكتاب المختلفة باعتبارهم من رعايا دولته التي أقامها في المدينة، فقد أكد النبي الأكرم على حقوق أهل الكتاب الحياتية ومنحهم حصانة حياتية في مقابل الظلم الذي قد يصدر من بعض الأشخاص حيث تصان حياتهم وكرامتهم ماداموا بين المسلمين بل يدافع عنهم عندما يتعرضون للخطر، ووادع

الرسول اليهود وأقرّ لهم حقوقهم
الدينية > لليهود دينهم وللمسلمين
دينهم > .

ومن الحقوق التي حصل عليها
أهل الكتاب في دولة الرسول؛
الحقوق الخدماتية في العدل
والإحسان إليهم في مطلق القضايا
والتي تشمل أمورهم الخدمية، فهم
كباقي الناس ينعمون بالخدمات
التي تقدمها الدولة للناس عموماً.

ومما تقدّم يظهر أنّ الرسول
(ص) قد أقام الركائز الحضارية
والإنسانية في التعامل مع أهل
الكتاب باعتبارهم أصحاب ديانات
سماوية، ولهم خصوصياتهم في
الحياة .

والحمد لله ربّ العالمين

مصادر الكتاب

القرآن الكريم

١ - الإصابة: ابن حجر أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المتوفى (٨٥٢ هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ - ١٤١٥ هـ.

٢ - إعلام الوري بأعلام الهدى: الشيخ أبو الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ)، دار الكتب الإسلامية.

٣ - الأمالي: الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، المتوفى (٤٦٠ هـ)، مؤسسة البعثة، قم، ط ١ - ١٤١٤ هـ.

٤ - الأمثل في تفسير كتاب الله

المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر).

٥ - بلوغ الإرب في معرفة العرب:

محمود شكري الآلوسي المتوفى (١٢٧٠ هـ)، مصر، سنة الطبع ١٣٤٢ هـ.

٦ - تاريخ ابن خلدون: عبد

الرحمن بن خلدون المتوفى (٨٠٨ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، سنة الطبع ١٩٧١ م.

٧- تاريخ مدينة دمشق، ابو القاسم

علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ابن عساكر المتوفى (٥٧١ هـ)، تحقيق علي شيري، تشر دار الفكر - بيروت.

٨ - تاريخ اليعقوبي: أحمد بن

واضح بن يعقوب المتوفى (٢٨٤ هـ)

- ، دار صادر، بيروت.
- ٩- **تخريج الأحاديث والآثار: الزيعلي**
المتوفى (٧٦٢ هـ)، تحقيق عبد الله
بن عبد الرحمن السعد، دار ابن
خزيمة، الرياض، ط ١ - ١٤١٤ هـ .
- ١٠- **تفسير الآلوسي (روح المعاني في**
تفسير القرآن الكريم): محمود
الآلوسي البغدادي المتوفى
(١٢٧٠هـ).
- ١١- **تفسير الكشاف:** محمود بن عمر
الزمخشري المتوفى (٥٣٨ هـ)، دار
الكتاب العربي، بيروت .
- ١٢- **تفسير الميزان (الميزان في**
تفسير القرآن): السيد الطباطبائي
المتوفى (١٤٠٢ هـ)، جماعة
المدرسين في الحوزة العلمية، قم،
سنة الطبع ١٤١٢ هـ.
- ١٣- **تفسير جوامع الجامع: الشيخ**

أبو الفضل بن الحسن المتوفى (٥٤٨ هـ) الطبرسي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ط ١ - ١٤١٨ هـ.

١٤ - **تفسير مجمع البيان:** الشيخ أبو الفضل بن الحسن الطبرسي المتوفى (٥٤٨ هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١ - ١٤١٥ هـ.

١٥ - **التمهيد:** ابن عبد البر المتوفى (٤٦٣ هـ)، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.

١٦ - **الدروس الشرعية:** الشهيد الأوّل شمس الدين محمد بن مكي العاملي المتوفى (٧٨٦ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ط ١ - ١٤١٤ هـ.

١٧ - **سبل الهدى والرشاد:** محمد بن

يوسف الصالحي الشامي، المتوفى
(٩٤٢ هـ) تحقيق عادل أحمد
عبدالموجود، والشيخ علي محمد
معوض، دار الكتب العلمية، بيروت،
ط ١ - ١٤١٤هـ.

١٨ - **سنن أبي داود: ابن الأشعث**
السجستاني المتوفى (٧٥٢ هـ)،
تحقيق سعيد محمد اللحام، دار
الفكر، بيروت، ط ١ - ١٤١٠هـ.

١٩ - **سنن الترمذي (الجامع**
الصحيح): محمد بن عيسى بن سورة
الترمذي المتوفى (٢٧٩ هـ)،
تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان،
دار الفكر، بيروت، ط ٢ - ١٤٠٣
هـ.

٢٠ - **السنن الكبرى:** أبي بكر أحمد
بن الحسين بن علي البيهقي،
المتوفى (٤٥٨ هـ)، دار الفكر،

بيروت.

٢١ - **سيرة ابن إسحاق**: محمد بن إسحاق بن يسار المتوفى (١٥١هـ)، تحقيق محمد حميد الله.

٢٢ - **السيرة الحلبية**: علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي، المتوفى (١٠٤٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٢٣ - **السيرة النبوية**: عبد الملك بن هشام المعافري الحميري المتوفى (٢١٨ هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، سنة الطبع ١٩٦٣ م.

٢٤ - **سيره نبوي (منطق عملي)**: مصطفى دلشاد تهراني (معاصر)، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران ط ١ - ١٣٧٢ ش.

٢٥ - **شرح نهج البلاغة**: ابن أبي

الحديد المعتزلي المتوفى (٦٥٦ هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية.

٢٦ - **صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى (٢٥٦ هـ)**، دار الفكر، بيروت، سنة الطبع ١٤٠١ هـ.

٢٧ - **صحيح مسلم: مسلم بن قشير النيشابوري، المتوفى (٢١٦ هـ)**، دار الفكر - بيروت.

٢٨ - **الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص): السيد جعفر مرتضى العاملي (معاصر)**، دار الهادي، بيروت، ط ٤ - ١٤١٥ هـ.

٢٩ - **الصراط المستقيم: علي بن يونس العاملي المتوفى (٨٧٧ هـ)**، تحقيق محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية

لإحياء الآثار الجعفرية .

- ٣٠ - **الطبقات الكبرى:** محمد بن سعد بن منيع البصري ، المتوفى (٢٣٠ هـ) ، دار صادر ، بيروت .
- ٣١ - **فجر الإسلام:** أحمد أمين ، المتوفى (١٣٧٣ هـ) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .
- ٣٢ - **الكافي:** الشيخ محمد بن يعقوب الكليني المتوفى (٣٢٩ هـ) ، تحقيق على أكبر غفاري ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط ٤ - ١٣٦٥ ش .
- ٣٣ - **مجلة المنار:** محمد رشيد رضا المتوفى (١٣٥٤ هـ) العدد ٦٩ لسنة ١٤٢٤ هـ .
- ٣٤ - **مجمع البحرين:** الشيخ فخر الدين الطريحي المتوفى (١٠٨٥ هـ) ، مكتبة المرتضوي ، طهران ، ط ٢ - ١٣٦٥ ش .
- ٣٥ - **المحلى:** محمد بن علي بن سعيد بن حزم المتوفى (٤٥٦ هـ) ،

- تحقيق أحمد محمد شاكر، دار
الفكر، بيروت.
- ٣٦ - **مسند أحمد**: أحمد بن حنبل
المتوفى (٢٤١ هـ)، دار صادر،
بيروت.
- ٣٧ - **المعارف**: محمد بن عبد الله بن
مسلم ابن قتيبة المتوفى (٢٧٦ هـ)،
تحقيق الدكتور ثورت عكاشه،
دار المعارف، القاهرة.
- ٣٨ - **المعجم الكبير**: سليمان بن
أحمد بن أيوب الطبراني، المتوفى
(٣٦٠ هـ) تحقيق حمدي عبد المجيد
السلفي، دار إحياء التراث
العربي، بيروت، ط ٢ - ١٤٠٥ هـ .
- ٣٩ - **المغني**: عبد الله بن أحمد بن
محمد بن قدامة، المتوفى (٦٢٠ هـ)،
دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٤٠ - **مقارنة الأديان، الإسلام**:
الدكتور أحمد الشلبي (معاصر)،

- مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،
ط ٤ - ١٩٧٣ م .
- ٤١ - المنمق في أخبار قريش: محمد
بن حبيب البغدادي، المتوفى (٢٤٥
هـ) تحقيق خورشيد أحمد فاروق،
حيدر آباد، سنة الطبع ١٣٨٣هـ.ق.
- ٤٢ - موسوعة التاريخ الإسلامي:
محمد هادي اليوسفي الغروي
(معاصر)، مجمع الفكر الإسلامي -
قم، ط ١ - ١٤١٧هـ.
- ٤٣ - نهج البلاغة: الإمام علي ؑ،
المستشهد سنة (٤٠ هـ) شرح محمد
عبده المتوفى (١٣٥٣ هـ)، دار
الذخائر - قم، ط ١ - ١٤١٢هـ.
- ٤٤ - نيل الأوطار: محمد بن علي بن
محمد الشوكاني المتوفى (١٢٥٠ أو
١٢٥٥هـ)، دار الجيل، بيروت.

فهرس الموضوعات

| | |
|---|----|
| كلمة المجمع..... | ٧ |
| مقدمة المؤلف..... | ١١ |
| أهل الكتاب في شبه الجزيرة العربية..... | ١٥ |
| تمهيد..... | ١٥ |
| ١ - اليهود | ١٦ |
| ٢ - النصارى..... | ١٨ |
| النبيّ (ص) يبلغ رسالته لأهل الكتاب | ٢١ |
| المسلمون يهاجرون الى بلاد أهل الكتاب.... | ٢١ |
| النبيّ الأكرم (ص) يكاتب ساسة أهل الكتاب | ٢٥ |
| الرسول الأعظم يحاور أهل الكتاب..... | ٣٠ |

تعاليم أنزلت على الرسول (ص) في أهل الكتاب.....

٣٥

١ - تعاليم عن الأنبياء ٣٥

٢ - تعاليم عن أقوام أهل الكتاب ٣٨

٣ - تعاليم عن الأوضاع السياسية ٤٢

نماذج أخلاقية للرسول (ص) في أهل الكتاب.....

٤٥

النموذج الأول : التواصل الاجتماعي ٤٥

النموذج الثاني: الكرامة الإنسانية ٤٦

النموذج الثالث : المودة والسلام ٥٠

حقوق أهل الكتاب في دولة الرسول (ص)

..... ٥٣

١ - الحقوق الحياتية ٥٣

٢ - الحقوق الدينية ٥٤

٣ - الحقوق الخدمانية ٥٨

الخاتمة ٦١

٦٥ مصادر الكتاب

٧١ فهرس الموضوعات